

شهر القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى

محمد بن صالح العثيمين
- رحمه الله تعالى -

لفضيلة الشيخ
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية الثانية

www.ajurry.com

[الشريط السابع] 

أعدّ هذه المادة
سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛

أهيناً في الدرس السابق القاعدة الأولى من قواعد الصفات وهي في بيان أن صفات الله -تبارك وتعالى- كلها صفات كمال لا نقص فيها، وتطرق الشيخ -رحمه الله- إلى بعض الأمور التي لها ارتباط بهذه القاعدة.

وعرفنا أن الصفات تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

- صفة كمال لا نقص فيها وهذه ثابتة في حق الرب.
- وصفة نقص لا كمال فيها وهي ممتنعة في حقه.
- وصفة هي كمال من وجه ونقص من وجه، فهذه لا تثبت على وجه الإطلاق ولا تنفى على وجه الإطلاق، وإنما يثبت منها الكمال، ويتره الرب -تبارك وتعالى- عن النقص.

ومن أمثلة ذلك المكر والكيد والاستهزاء ونظائرها.

والآن نبدأ بالقاعدة الثانية من قواعد الصفات. قال المؤلف رحمه الله تعالى:

[المتن]

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا تنتهي لها كما أن أقواله لا تنتهي لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: الجيء، والإتيان، والأخذ والإمساك، والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل

عمران: [١١]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) [البروج: ١٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُنَزَّلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».^(١)

فنصف الله -تعالى- بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها؛ فلا نقول: إن من أسمائه الجائي والآتي والآخذ والمُمْسِكِ والباطش والمريد والنازل.. ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

[الشرح]

قال الشيخ رحمه الله: (القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء) هذه قاعدة من القواعد المتعلقة بصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي في بيان أن صفات الله -جل وعلا- أوسع من الأسماء؛ بمعنى أنها أكثر عدداً، صفات الله أوسع من أسمائه، وهذه قاعدة، قد ذكر الشيخ -رحمه الله- ما يدل عليها.

مما يدل على هذه القاعدة قوله رحمه الله: (لأن كل اسم متضمن لصفة) دون العكس، فأسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- متضمنة لصفات كمال؛ لكن ليس كل صفة من صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- متضمنة لاسم أو دالة على اسم، فالله -جل وعلا- يشتق له من كل اسم صفة، ولا يشتق له من كل صفة أسماء؛ بل بعض أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دالة على أكثر من صفة، مثل المجيد والعظيم والسيد.. ونحوها من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا أيضاً مما يدل على أن باب الصفات أوسع؛ لأن كل اسم دال على صفة، بل بعض الأسماء دالة على أكثر من صفة، وبالمقابل صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا يؤخذ منها أسماء؛ لأن القاعدة سبق أن مرت معنا في قواعد الأسماء: أسماء الله توقيفية، فلا يؤخذ من الصفات أسماء، فهذا شاهد واضح ودليل بين على أن باب الصفات أوسع وأن عدد الصفات أكثر من عدد الأسماء.

(١) البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (١١٤٥).

مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل..، حديث رقم (٧٥٨).

قال: (وذلك لأن كل اسم متضمنٌ لصفة كما سبق) هذه قاعدة تتعلق بالأسماء الحسنی وسبق أن مرت معنا، كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة والصفة التي تضمنها صفة كمال، ولهذا كانت أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حسنی؛ لأن كل اسم منها متضمن لصفة والصفة صفة كمال.

قال: (كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا تنتهي لها) وهذا وجه آخر في الدلالة على هذه القاعدة؛ أن الصفات أوسع من صفاته ما له تعلق بأفعاله كالكلام مثلا صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والتزول والحيء والاستواء وغيرها فهي صفات متعلقة بالأفعال، ولهذا يقال عنها: صفات فعلية، وسيأتي معنى تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، فمن صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ما لا تعلق له بالأفعال، ويقال عنه صفة ذاتية، وهناك صفات تتعلق بالأفعال ويقال عنها صفة فعلية.

(وأفعاله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا تنتهي لها) لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، استوى على العرش بعد خلقه للسموات والأرض، ويزل للسماء الدنيا بعد خلقه للسموات والأرض، وأفعال أخرى كثيرة يفعلها -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- تليق بجلاله وكماله وهي من تجدد الأفعال على وفق المشيئة مشيئة الرب سبحانه، فلاحظ: التزول، الاستواء، والحيء، ونظائر ذلك من الأفعال الثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأفعاله لا نهاية لها، فهو -جل وعلا- لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد وفق مشيئته النافذة وحكمته السابقة وعلمه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- المحيط، لم يزل ولا يزال فعال لما يريد، وأفعاله لا نهاية لها. هذا دليل على أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

قال: (لا تنتهي لها كما أن أقواله لا تنتهي لها) ولهذا الكلام من حيث أصله قديم؛ لكن من حيث آحاده وأفراده حادث، ومعنى حادث أي متجدد ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، تكلم بالتوراة قبل الإنجيل، وتكلم بالإنجيل قبل القرآن، وتكلم بالقرآن بعد هذه الكتب، والقرآن تكلم فيه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- آية تلو الأخرى، فهو -جل وعلا- لم يزل متكلمًا يتكلم بما شاء متى شاء، يوم القيامة مع أهل الجنة، وفي الموقف يتكلم، فهو -عز وجل- يتكلم متى شاء، وآحاد كلامه حادثة أي متجددة ليست قديمة، وإنما القديم نوع الكلام أو أصل الكلام قديم، فالله -عز وجل- موصوف في الأزل بأنه متكلم، وهو لا يزال يتكلم بما شاء متى شاء وفق حكمته وعلمه وحكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأفعاله مثل الكلام، كلامه لا نهاية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كلامه - جل وعلا - لا نهاية له وأفعاله كذلك لا نهاية لها، لم يزل فعالا لما يريد.

وقد ذكر الشيخ -رحمة الله عليه- الدليل على أن كلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا نهاية له ألا وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿لَقَمَان: ٢٧﴾. وهذا شاهد واضح ودليل بين على أن كلام الله لا نهاية له، ليس هناك حد ينتهي وينقطع فيه، وإنما هو كلام لا نهاية له، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ أَقْلَامٌ﴾ وهذا مثال للتوضيح والتقريب والبيان لكون كلامه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا نهاية له ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ يعني ستتحول أشجار الأرض كلها على كثرتها وتعددتها إلى أقلام، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ تتحول هذه البحار إلى مداد أي حبر يكتب به كلامه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لو تكثرت الأقلام وفنيت ونفدت البحار ونضدت وكلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لم ينته، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ما انتهت كلمات الله.

مثلا قول الله -تعالى- في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) ﴿الكهف: ١٠٩﴾، وهذا كما قلت مثال للتقريب والبيان إلى أن كلمات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا نهاية لها.

فكلامه لا نهاية له، وأفعاله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا نهاية لها، ومثلت على الأفعال بالترول وبلاستواء وبالجمعي.

الاستواء أخبر -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أنه استوى على العرش بعد ماذا؟ بعد خلقه للسموات والأرض ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] عطف استواءه على العرش بـ ﴿ثُمَّ﴾ عطفه على خلقه للسموات والأرض، وأخبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أنه يتزل السماء الدنيا كل ليلة، وأخبر أنه يوم القيامة يجيء سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣) ﴿الفجر: ٢٢-٢٣﴾، وهكذا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا يزال يفعل ما يريد وما يشاء، فأفعاله لا تنتهي لها، كما أن كلامه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا ينتهي له.

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- كما عرفنا الدليل على أن كلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا ينتهي له.

وأفعاله دالة على صفاته سيأتي عند الشيخ - رحمه الله - من طرائق معرفة الصفات دلائل أفعاله عليها، فالتزول صفة أخذت من قوله: «يَتَزَلُّ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، المحيىء صفة أخذت من قوله: «وَجَاءَ رَبُّكَ» [الفجر: ٢٢]، الاستواء صفة مأخوذة من قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» وهكذا، الضحك والرضا والغضب وغيرها من صفاته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - دلت عليها أفعاله. ولهذا سيأتي معنا أن لمعرفة الصفة عدة طرق، بينما الاسم ليس لمعرفة إلا طريق واحد، أما الصفة فلمعرفة عدة طرق:

الطريق الأولى التنصيص على الصفة.

والطريق الثانية دلالة الاسم عليها.

والطريق الثالثة دلالة الفعل على الصفة، فالحيى دل عليه «وَجَاءَ رَبُّكَ»، والتزول دل عليه «يَتَزَلُّ رَبُّنَا»، والضحك «ضَحِكَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا»^(٢) .. وهكذا. فهذه طرائق لمعرفة صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إذن هذا كله مما يبين لنا أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، (وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة)، (ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا تنتهي لها) وأيضا ممكن نقول: ولأن الصفات لمعرفة عدة طرق بينما الأسماء لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق واحد. وستأتي عند المصنف - رحمه الله - الطرق التي من خلالها يمكن معرفة الصفات، ستأتي بإذن الله في القاعدة السابعة من قواعد الصفات.

قال: (ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المحيىء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى كما قال تعالى: «وَجَاءَ رَبُّكَ» [الفجر: ٢٢]) هذا فعل دل على صفة المحيىء، (وقال: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ» [البقرة: ٢١٠]) «يَأْتِيَهُمُ» دل على الإتيان، (وقال: «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» [آل عمران: ١١])

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٢).

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم... حديث رقم (٢٨٢٦).

مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، حديث رقم (١٨٩٠).

وهو بلفظ: «يُضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ثُمَّ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ».

دلّ على الأخذ، (وقال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]) وهذا دال على الإمساك، (وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]) وهذا دليل على صفة البطش وذكرت الصفة هنا تنصيصاً، (وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]) هذا دالّ على صفة الإرادة، (وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتَزَلُّ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».) وهذا دال على صفة التزول.

والشاهد من ذلك كله بيان أن أفعال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لا تنتهي لها، فهذه كلها أفعال وُجدت ووقعت ولا تزال تقع ويفعلها الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على وفق مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قال: (فنصف الله -تعالى- بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها؛ فلا نقول: إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والأخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل.. ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.) وهذا التقرير هنا هو الذي يوضح دلالة ما سبق على أن الصفات بأها أوسع؛ لأن هذه الأفعال دالة على صفات نصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بما دلت عليه، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ الإمساك، «يَتَزَلُّ» التزول، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ الجيء وهكذا، وهذه الأفعال أو هذه الصفات التي دلت أفعاله عليها، أو كذلك الصفات التي جاءت في القرآن تنصيصاً - لم تؤخذ من الفعل - نُصَّ عليها، مثل البطش ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ هذا نصُّ على الصفة. فهذه الصفات التي أخذت من الأفعال أو الصفات التي جاءت تنصيصاً نُصَّ عليها لا يؤخذ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- منها أسماء.

فلا يقال من قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ الذي هو دال على صفة البطش: إن من أسماء الله (الباطش) بدليل أنه قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

ولا يقال: إن من أسمائه الجائي بدليل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾.

ولا يقال: من أسمائه النازل بدليل: «يَتَزَلُّ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا».

ولا يقال: من أسمائه المستوي بدليل قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].. وهكذا.

فلا يؤخذ من صفاته التي نُصَّ عليها تنصيصاً في القرآن أسماءً، ولا يؤخذ من أفعاله الدالة على صفاته أيضاً أسماءً.

بينما كل اسم من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نثبت له منه صفة؛ بل بعض الأسماء نثبت منه أكثر من صفة.

إذن أيهما أوسع باب الصفات أو باب الأسماء؟ باب الصفات أوسع.
والقاعدة واضحة ودليها كذلك واضح.

[المتن]

القاعدة الثالثة: صفات الله -تعالى- تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:
فالثبوتية ما أثبتته الله -تعالى- لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والتزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

فيجب إثباتها لله -تعالى- حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل:
أما السمع فمنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦). [١٣٦].

فالإيمان بالله -تعالى- يتضمن الإيمان بصفاته.
والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله.
وكون محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرسله وهو الله عز وجل.

وأما العقل فلأن الله -تعالى- أخبر بما عن نفسه، وهو أعلم بما من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من غيره؛ فوجب إثباتها له كما أخبر بما من غير تردّد، فإنّ التردّد في الخبر إنما يتأتّى حين يكون الخبر صادراً ممّن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ بحيث لا يفصح بما يُريد، وكلّ هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله -عز وجل- فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الله تعالى، فَإِنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْلَمُ النَّاسَ بِرَبِّهِ وَأَصْدَقُهُمْ خَبْرًا وَأَنْصَحُهُمْ إِرَادَةً وَأَفْصَحُهُمْ بَيَانًا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

[الشرح]

قال رحمه الله: (القاعدة الثالثة: صفات الله -تعالى- تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:) هذه قاعدة متعلقة بالصفات -صفات الله جل وعلا-؛ بل متعلقة تحديدا بتقسيم الصفات، وأن صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على قسمين: صفات ثبوتية، وصفات سلبية. وسيأتي تحت هذا التقسيم تقسيمات في القواعد التي تلي هذه القاعدة.

(صفات الله ثبوتية وسلبية) المراد أن صفات الله التي جاءت في القرآن وسنة النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- على نوعين:

- نوع أثبت في القرآن، أثبت لله، وأثبت له في السنة.
 - ونوع نفي عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في القرآن والسنة.
- فهو -عز وجل- يوصف بالإثبات أو بما أثبت لنفسه، ويوصف أيضا بأن ينفي عنه ما نفي عن نفسه، هذا من صفاته وهذا من صفاته، صفات تثبت لله جل وعلا، وصفات تنفي عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولهذا الصفات في القرآن على نوعين:

- صفات ثبوتية أي أثبتها الله لنفسه.
 - وصفات سلبية -أو منفية- فهذه تنفي عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- لأن القاعدة عند أهل السنة في باب الصفات وصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون تجاوز للقرآن والحديث.

قال أحد السلف الأوزاعي أو الثوري: ندور مع السنة حيث دارت -أي نفيا وإثباتا- فما أثبت في القرآن والسنة أثبتناه وما نفي فيهما نفيناه ولا نتجاوز كلام الله وكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فنحن نصف الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالإثبات، كما أثبت هو -جل وعلا- لنفسه، وكما أثبت ذلك له رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأيضاً نصفه بالنفي نفى النقائص عنه، ونفى مماثلة أحد من خلقه في شيء من صفاته، فكما أننا ثبت له ما أثبت لنفسه فإننا ننفي عنه ما نفى عن نفسه.

وهذا معنى قول أهل العلم الصفات تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية؛ أي صفات إثبات وصفات نفى.

عندما تقرأ الآيات الدالة على الاستواء والحيء والتزول واليد والعين والسمع والبصر والرضا والغضب وغيرها، هذه الآيات تدل على صفات ما شأنها؟ ثبوتية، المطلوب منا إثباتها لله كما أثبتها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لنفسه، وأن نثبتها لله كما أثبتها رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولهذا أطلق عليها هذا اللقب الصفات الثبوتية؛ أي أن الله أثبتها، والرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أثبتها، والواجب علينا أن نثبتها كما أثبتها الله وكما أثبتها رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والنوع الثاني صفات سلبية؛ أي منفية تنفى عن الله، نجد في القرآن نفى عن نفسه الظلم، ونفى عن نفسه اللغوب، ونفى عن نفسه الولد، ونفى عن نفسه المثل والنظير، فهذه صفات نفاها عن نفسه، والواجب نفيها عنه كما نفاها -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن نفسه.

ثم بدأ الشيخ -رحمه الله- يتكلم أولاً عن الصفات الثبوتية، ومن بعد ذلك أخذ في الكلام عن الصفات السلبية.

قال: (فالثبوتية ما أثبتته الله -تعالى- لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه) هذا ضابط الصفات الثبوتية، ضابط الصفات الثبوتية وحدها هو ما ذكره الشيخ، هي ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إن كانت الصفة التي ذكرت في القرآن أو ذكرت على وجه إثباتها لله وعدّها في صفاته -سبحانه- فهي صفة ثبوتية؛ أي ثبتت في القرآن أو ثبتت في السنة، والمطلوب من المؤمنين إثباتها (وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه) هذا سبق تقريره في القاعدة الأولى من قواعد الصفات، وهذا أمر ثابت في حق صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى (وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه).

قال: (كالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالتَّزَوُّلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ). وهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ ذَكَرَهَا أَمْثَلَةٌ، وَلِهَذَا قَالَ فِي تَمَامِهَا: (وَنَحْوِ ذَلِكَ) ذَكَرَهَا أَمْثَلَةٌ عَلَى الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ.

وَالْأَمْثَلَةُ الَّتِي ذَكَرَ مِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ، وَلِهَذَا سَيَأْتِي تَقْسِيمُ آخَرٍ عِنْدَ الشَّيْخِ لِلصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ ثَبُوتِيَّةٌ فَعْلِيَّةٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ ثَبُوتِيَّةٌ ذَاتِيَّةٌ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ: صِفَاتٍ فَعْلِيَّةٍ وَصِفَاتٍ ذَاتِيَّةٍ. وَلِهَذَا الْأَمْثَلَةُ الَّتِي مَعَنَا:

• مِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ كـ: الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ.

• وَمِنْهَا مَا هُوَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ كـ: الْإِسْتِوَاءُ وَالتَّزَوُّلُ.

وَالْوَجْهِ وَالْيَدَانِ صِفَتَانِ ذَاتِيَّتَانِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَالصِّفَاتُ الثَّبُوتِيَّةُ مِنْهَا صِفَاتٌ ذَاتِيَّةٌ وَمِنْهَا صِفَاتٌ فَعْلِيَّةٌ، وَضَابِطُ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ عَرَفْنَاهُ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لِنَفْسِهِ وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ.

ثُمَّ بَعْدَ الْبَيَانِ أَخَذَ يَبِينُ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا نَحْوَ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ، فَبَيْنَ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مَا هِيَ الصِّفَاتُ الثَّبُوتِيَّةُ وَمَا ضَابِطُهَا وَحَدُّهَا، ثُمَّ شَرَعَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي بَيَانِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا نَحْوَ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

قال: (فَيَجِبُ إِثْبَاتُ اللَّهِ -تَعَالَى- حَقِيقَةً عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ بِدَلِيلِ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ)، هَذِهِ

الصِّفَاتُ الثَّبُوتِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَ بَعْضُ أَمْثَلَتِهَا الْوَاجِبَ عَلَيْنَا إِثْبَاتُهَا كَمَا أَثْبَتَهَا اللَّهُ وَكَمَا أَثْبَتَهَا رَسُولُهُ الْكَرِيمُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذَا الْوَاجِبَ عَلَيْنَا فِي حَقِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَمَّا ذَكَرَ الْوَاجِبَ ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ، لِمَاذَا يَجِبُ عَلَيْنَا إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ؟ ذَكَرَ دَلِيلًا سَمْعِيًّا وَدَلِيلًا عَقْلِيًّا.

قال: (أَمَّا السَّمْعُ) أَيُّ أَمَّا السَّمْعُ الدَّالُّ عَلَى وَجُوبِ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ لِلَّهِ كَمَا أَثْبَتَهَا اللَّهُ

لِنَفْسِهِ (فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) [النساء: ١٣٦]).

فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ -تَعَالَى- يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِصِفَاتِهِ.

والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله. وكون محمد -صلى الله عليه وسلم- رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن رسوله وهو الله عز وجل. هنا الشيخ -رحمه الله- أخذ من هذه الآية ثلاثة أوجه في الدلالة على وجوب إثبات الصفات لله -تبارك وتعالى- كما أثبتتها لنفسه. أخذ منها ثلاثة أوجه في الدلالة على وجوب إثبات الصفات لله -تبارك وتعالى- كما أثبتتها لنفسه:

الوجه الأول من قوله تبارك وتعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ فيها الأمر بالإيمان بالله تبارك وتعالى، والإيمان به يتضمن الإيمان به دون صفاته؟ لا، أبدا، لا يقول ذلك أحد، وإنما الإيمان به -سبحانه وتعالى- وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى. ولذلك تجدون في كتب العقائد عامة يقولون: ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه، ومن الإيمان بالله الإيمان بصفاته.

ويقولون أيضا على وجه التفصيل: ومن الإيمان بالله: الإيمان باستوائه على العرش، ومن الإيمان بالله: الإيمان بمحبته لأوليائه وغضبه على أعدائه.. وهكذا. فالإيمان بالصفات هو من الإيمان بالله -تبارك وتعالى-، ومن جحد صفات الله -تبارك وتعالى- ولم يؤمن بها ليس مؤمنا بالله؛ لأن الإيمان بالله له أركان لا يكون إلا بها ولا يصح إلا بها، من أركانه الإيمان بأسمائه -تبارك وتعالى- وصفاته. إذن قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾، هذا الأمر دال على وجوب إثبات الصفات لله -تبارك وتعالى- كما أثبتها الرب العظيم لنفسه.

ولهذا قال الشيخ: (فالإيمان بالله) أي الذي أمرنا الله به في قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾، يتضمن الإيمان بصفاته هذا الوجه الأول.

الوجه الثاني: (الإيمان بالكتاب) في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾، قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (أل) هما للعهد والمقصود الكتاب المعهود المثل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا وهو القرآن الكريم، ففي الآية أمر بالإيمان بالقرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ﴾ أي آمنوا بالقرآن، والأمر بالإيمان بالقرآن يتضمن الإيمان بماذا؟ بالصفات التي اشتمل

عليها القرآن، ودل عليها، فمن لم يؤمن بالصفات - صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى - التي دل عليها القرآن ما آمن بالقرآن؛ لأن الإيمان بالقرآن يتضمن الإيمان بصفات الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - التي دل عليها القرآن الكريم، فأمر الله عباده بالإيمان بكتابه دليل على وجوب إثبات الصفات الثابتة في القرآن لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - على الوجه اللائق بكمال الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ بل القرآن فيه آيات كثيرة تقارب الثلاثين آية فيها الأمر بتعلم الصفات وفهمها والعناية بها، مثل قوله: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق: ١٢]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٠٩) [البقرة: ٢٠٩]، آيات كثيرة فيها: اعلم وتذكر صفات الله، وهي تقارب الثلاثين آية، ومرة جمعناها مع بعض الطلاب بمثل هذه المناسبة وجدنا أنها تقارب الثلاثين آية يأمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فيها بتعلم صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذن تعلم الصفات وإثباتها من القرآن لهذا من الإيمان بالقرآن، ونحن أمرنا بأن نؤمن بالقرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ فمن لم يؤمن بالصفات التي في القرآن ما آمن بالقرآن الكريم الذي أمرنا بالإيمان به.

هذا الوجه الثاني في دلالة الآية على وجوب إثبات الصفات.

الوجه الثالث: قال: (وكون محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرسله) ونحن أمرنا أن نؤمن به؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وترتيب هذه في الآية الإيمان بالله ثم الإيمان بالرسول ثم الإيمان بالكتاب.

الإيمان برسوله كما قال الشيخ رحمه الله: (يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرسله) لأن مهمة الرسول ما هي؟ مهمة الرسول إبلاغ كلام المرسل (بكل ما أخبر به) الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (عن مُرسله) من أسماء وصفات وأفعال يجب الإيمان به، ولهذا للإيمان بالرسول أركان ثلاثة تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتفاء عما نهى عنه وزجر، فالذي لا يؤمن بالأسماء والصفات التي أثبتها الرسول الكريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لربه ما حصل منه الإيمان بالرسول؛ لأن الإيمان بالرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتضمن تصديقه فيما أخبر به عن ربه، إذا قال: «يترل» ما نتوقف، وإذا قال: «يجيء» لا نتوقف.. وهكذا في كل ما وصف به الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ربه - عز وجل - لا نتوقف فيه؛ لأنه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى،

وكيف نتوقف فيما يُخبر به الرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ربه وهو أعلم خلق الله بالله ولا أحد أعلم بالله من خلقه من رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أعلم خلق الله بالله هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن هذه الآية دلت على وجوب إثبات الصفات لله من ثلاثة أوجه:

في قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ وجه.

وقوله: ﴿وَرَسُولِهِ﴾ وجه.

وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ وجه ثالث.

والشيخ -رحمه الله- بين هذه الوجوه الثلاثة أتم بيان.

فائدة تتعلق بالآية لا علاقة لها بما نحن بصددده: عدَّ بعض أهل العلم هذه الآية في جملة الآيات الدالة على أن الإيمان يزيد وينقص، وجه دلالة الآية أن فيها أمراً للمؤمنين بالإيمان، ونظير هذه الآية: الآية الأخرى التي في آخر سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا﴾ أمر المؤمنين بالإيمان، وهو هنا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ ففيها أمر للمؤمن بالإيمان، والأمر بالشيء:

إما أن يكون لمن دخل فيه، وإما أن يكون لمن لم يدخل فيه.

إما أن يكون لمن شرع فيه وإما أن يكون لمن لم يشرع فيه.

فإذا أمرت من لم يشرع في الشيء أو لم يدخل فيه أصلاً فأمرك له به هو أمر بالدخول والفعل وإيجاده، بينما أمرت من هو فاعل للشيء.

مثل ما مثل أهل العلم: زميلك يمشي بجنبك لكن مشيه بطيء ومتناقل فقلت له: يا فلان امش.

هل تأمره بالمشي ابتداءً أو أنك تأمره بالمشي استزادة؟

أيضاً إذا كان ضيف عندك يأكل من طعامك لكنك أحببت أن يزيد وقلت له: كل يا فلان، وهو يأكل أنت تراه بعينك يأكل؛ ولكن قلت له: كل يا فلان، ليس مرادك بقولك: كل. أي ابتدئ الأكل؛ لأنك تراه يأكل، وإنما تريد الاستزادة.

ولذلك قال العلماء: الأمر بالشيء لمن هو فاعل له أمر بالاستزادة.

إذن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ هذا أمر بالثبات على الإيمان والزيادة منه،

والحفاظة عليه والعناية به، فالآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

قال: (وأما العقل) أي وأما دلالة العقل على وجوب إثبات الصفات لله (فلأن الله -تعالى- أخبر بها عن نفسه) هذا دليل عقلي الآن لوجوب إثبات الصفات لله -عز وجل- كما أثبتتها لنفسه، قال: (لأن الله أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بها من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من غيره؛ فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد) هذا دليل عقلي واضح في وجوب إثبات الصفات لله -تبارك وتعالى- على الوجه اللائق به.

يقال: إن الذي أثبت هذه الصفات هو الله، والذي أخبر بها هو الله سبحانه وتعالى، أخبر بها عن نفسه، أخبر عباده في كتابه بأنه موصوف بكذا وموصوف بكذا، وهو سبحانه وتعالى أعلم بنفسه من خلقه، لا أحد أعلم بالله من الله وهو سبحانه وتعالى أصدق قيلاً وأحسن حديثاً، فكلامه أصدق الكلام وحديثه أحسن الحديث، ولا يتطرق إليه الباطل ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يوجب التردد والتوقف في إثبات ما أثبتته الله -تبارك وتعالى- لنفسه؟

لماذا يتوقف من يقرأ فقلوه تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) [طه: ٥] في إثبات الاستواء لله مع أن الذي قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ هو الله جل وعلا.

لماذا يتوقف في إثبات الغضب لله مع أن الله الذي قال: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]؟

لماذا يتوقف من توقف في إثبات الحيء لله مع أن الله قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؟

لماذا هذا التوقف والقائل هو الله، وهو -عز وجل- أعلم بنفسه وأصدق حديثاً وأحسن قيلاً، فلماذا هذا التوقف؟

ولهذا توقف أهل الباطل وأهل الكلام عن إثبات صفات الله -تبارك وتعالى- هذا يدل على مرض قلوبهم ووهاء دينهم، وإلا كيف يتوقف متوقف في أمر أثبتته الله -جل وعلا- لنفسه، ويا عجباً يثبت رب العالمين وينفي هؤلاء، هذا غاية العجب، رب العالمين يثبت لنفسه وينفي هؤلاء ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، الله -جل وعلا- يثبت لنفسه وهم يقولون: لا، هكذا صريحاً، يقولون: لا، لو أثبتنا الاستواء للزم له كذا وكذا ما يصلح له الاستواء.

يقول: ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، يقولون: لا، الغضب لو أثبتناه له للزم منه كذا وكذا، ما يصلح أبداً.

يقول جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يقولون: لا، أبداً ليس له يدين، لو أثبتنا له يدين للزم من إثبات اليدين كذا وكذا، لا تصلح له ولا تليق به.

يثبت رب العالمين وينفي هؤلاء. وهذا من أشد الظلم وأعم العدوان وأكبر البهتان أن يثبت رب العالمين لنفسه ما يليق به وهو أعلم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وأصدق حديثاً وأقوم قِيلاً، ثم ينفي هؤلاء. وانتبهوا لما ذكره الشيخ -رحمه الله- عندما قال: (فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر

صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العي) الجهل ضد العلم، والكذب ضد الصدق، والعي ضد الإفصاح والبيان، فمن كان يجوز في حقه الجهل أو الكذب أو العي يتردد في كلامه ويتوقف في حديثه؛ لأن الخطأ سيتطرق إلى حديثه من جهة إما جهله أو من جهة كذبه أو جهة عيّه؛ عدم إفصاحه عما يريد، يريد أن يخبرك بالشيء؛ لكن للعي الذي عنده لا يستطيع، ربما أنه يخبرك بخلاف ما يريد أن يقول، وبنقيض ما يقصد أن يقول لعيه وبيانه، وهذا يحصل في كلام الناس كثيراً.

فمن كان هذا شأنه ووصفه يتردد في حديثه، أما من كان الجهل والكذب والعي في حقه ممتنع ولا يمكن أن يكون في حقه فكيف يتردد في حديثه؟

ولهذا في الرد على أهل الباطل: هذا الكلام نستفيد منه فائدة عظيمة جداً في الرد على أهل الباطل ممن ينفون الصفات، وأوضح لكم هذا بالمثال:

لو أن شخصاً رأيته ينفي علو الله وينفي استواء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على عرشه، والعلو والاستواء حق ثابت لله في كتابه وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكنك رأيته ينفي ذلك بحجج عقلية وشبهات، ثم تلوت عليه الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]، وتلوت عليه ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وتلوت عليه الآيات الدالة على علو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فما قبلها منك، وقال لك: إنها مصروفة والحق ما ذكرته لك بهذه الأدلة العقلية.

ففي الرد عليه ممكن أن تستفيد من هذا الكلام فائدة عظيمة، تقول له: هذا الاعتقاد الذي ستقره الآن في حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وتدعي أنه هو الاعتقاد الصحيح الذي يليق بالله، هل الله -جل وعلا- علمه أو لم يعلمه؟ هو بين أحد خيارين: إما أن يقول: علمه، أو يقول: لم يعلمه.

إن قال: لم يعلمه هذا كفر بالله.

وإن قال: علمه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عن نفسه، يقال له: الله -جل وعلا- علمه عن نفسه، فهل هو قادر على بيانه وإخبار خلقه به بأتم ما يكون من البيان أو ليس قادرا؟
إن قال: ليس قادرا، فهذا كفر بالله.

وإن قال: الله قادر على بيان ذلك، يقال: علمه الله وهو قادر على بيانه، هل بينه أو لم يبينه؟
إن قال: بينه، تقول له: أين بينه؟ هذا كتابه موجود وهذه سنة نبه موجودة أين؟
وإن قال: لم يبينه، وإنما بين في كتابه خلاف ما هو متقرر في حقه؛ لأن المتقرر في حقه عدم الاستواء، والله قال عن نفسه: استوى، المتقرر في حقه عدم ثبوت الغضب وفي القرآن أثبت الغضب.
أثبت لنفسه بزعمهم خلاف ما يليق به جل وعلا، فهذا طعن في بيانه، ولا أصدق من الله قبيلا، ولا أحسن من الله قبيلا، وكلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه.

وهذا التقسيم والتنويع في الرد يبين لكم بجلاء فداحة ما عليه هؤلاء، وما يترتب على مقاتلتهم الخسارة من الجنايات العظيمة في حق الله وفي حق كتابه وفي حق رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
والتقرير ذاته تستطيع أن تقول فيه فيما يتعلق بالسنة؛ سنة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا سيأتي إشارة أخرى من الشيخ -رحمه الله- إلى ذلك عندما قرر ما يتعلق بسنة النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهذا الأسلوب في المناظرة استعمله أهل العلم، ومن ذلك ما ذكره ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة عن عبد الله أخ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناظرة لأحد المتكلمين في صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويمكن مطالعة هذه المناظرة الجميلة في كتاب الصواعق المرسلة لابن القيم رحمه الله.
(وهكذا نقول فيما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الله تعالى، فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.) فذكر الأمور السابقة؛ ذكر انتفاء الجهل بإثبات العلم، وذكر انتفاء الكذب بإثبات الصدق، وذكر أيضا انتفاء العي بإثبات الفصاحة.

فالنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أعلم خلق الله بالله، وهو صادق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأيضا أفصح الناس بيانا وأحسنهم حديثا، وأنصحهم أيضا لخلق الله، وتأملوا معي من يؤمن بأنه أعلم الناس

بالله وأصدقهم حديثاً وأنصحهم لعباد الله، تأملتُم بهذه الثلاثة؟ ونحن نؤمن بها لنبينا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أعلم الناس بالله وأصدقهم حديثاً وأنصحهم لعباد الله.

لو كان الله لا يتزل إلى السماء الدنيا، هل يتناسب مع هذه الأمور أن يسمع منه قرابة الثمانية والعشرين صحابياً؛ لأن الذين رَووا حديث التزل قرابة ثمانية وعشرين صحابياً، يقول: **«يتزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة»** وواقع الأمر كما يدعي المعطلة أن الله لا يتزل.

هل هذه تستقيم وتتناسب مع كمال علمه وكمال صدقه وكمال نصحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ أم أن هذه تكون من صفات الناصح أو الغاش؟

إذا كان الأمر كما يدعيه، هذا ليس من صفات الناصح يخبرهم بشيء والواقع خلافه، **«يتزل ربنا إلى السماء»** وهو لا يقصد أن الذي يتزل هو الله إنما الذي يتزل هو ملك الله، والذي كشف هذه الحقيقة من؟ علماء الكلام بعد القرون المفضلة، الصحابة ما أثر عنهم ذلك، ومن وجد من المؤمنين قبل زمن المتكلمين ماتوا وما عرفوا أن الذي يتزل هو الملك؛ لأنه ما اكتشف أن الذي يتزل هو الملك إلا علماء الكلام في أزمنة متأخرة، وإلا في زمن الصحابة ما اكتشفت هذه الحقيقة، ولا في زمن التابعين، إذن اكتشفت في وقت متأخر، الصحابة ماتوا ما عندهم خبر من الذي يتزل، قال: **«يتزل ربنا»** فأخذ الأمر على ظاهره وفهموا أن الذي يتزل هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وماتوا على غير العقيدة الصحيحة.

والعقيدة الصحيحة عرفت فيما بعدت واكتشفت الحقيقة.

هل هذا يتناسب مع نصح النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ يتناسب مع فصاحته؟ لو كان القوم يعقلون، لو كان الأمر كما قال هؤلاء لقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بصريح العبارة: يتزل ملك ربنا كل ليلة؛ لأنه ناصح وفصيح ويبين للأمة، ما يتركهم في عماية، ولا يترك المسألة ألغاز تكتشف، وأشياء تكتشف، هذه عقيدة ودين، فكيف يقال في حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولهذا نجد الآن لو أن أحداً استعمل هذه الطريقة التي يدعيها علماء الكلام في حق الحديث، لا يمكن أن يستقيم خطاب، لو قال لكم قائل: جاء فلان، واضحة أو لا؟ حدد من الذي جاء وهو الذي جاء والده، اكتشفوها، جاء فلان، وهو يقصد أن الذي جاء والده. ويقول فيه محذوف مقدر وتقديره والد فلان، **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾** [الفجر: ٢٢] قالوا: فيه محذوف مقدر، الذي يجيء ليس الله أبداً، ولا

يصلح أن يكون هو الذي يجيء، فيه محذوف مقدر، ما المحذوف المقدر؟ قالوا: أمر ربك، ملك ربك، وهكذا قالوا في التزول، وقالوا في صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الأخرى.

ولهذا يفسد الخطاب ولا يعقل عن المخاطب خطابه بهذه الطريقة؛ لأنه لما يخاطبك بالكلام الواضح، ماذا يحدث لك، إذا كانت هذه طريقته في الخطاب تبدأ تفكر إيش يرد هذا؟ أي شيء يريد؟ وتحاول تبحث عن قرائن وعن أحوال وعن أمور. أما نفس الخطاب غير مفهوم من حيث هو. فهذه -والعياذ بالله- جناية هؤلاء فيما يتعلق بصفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وبطلانها بمثل هذا التقرير الذي سمعتم واضحة أتم الوضوح.

ولهذا لاحظوا معي عند أهل العلم قاعدة مفيدة جدا في الدخول ابتداء في دراسة الصفات، عندما يريد طالب العلم أن يدخل في باب الصفات، لابد أن يكون أمام ناظره أصل مهم في هذا الباب:

الأصل الأول: ألا وهو أنه لا أحد أعلم بالله من الله هذه قاعدة لابد منها.

الأصل الثاني: لا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا كان أمام ناظري المسلم هذان الأصلان لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنه يدخل في هذا الباب بكل اطمئنان. وأنا أسألكم سؤالا، بالله عليكم هل نتجراً أن نقول بألسنتنا: يتزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة. هل نتجراً على ذلك لولا أننا سمعنا في حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هل منا أحد يتجراً أن يقول في حق الله: يتزل ربنا إلى سماء الدنيا؟

السؤال نفسه مرة ثانية لولا أننا سمعنا هذا في الحديث أنقوله؟ ما يمكن أن نتجراً على الله، ولهذا قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: إني أكره الكلام في الصفة. قال شيخ الإسلام: أي أكره الكلام في الصفة ابتداء، ولولا أن الله -عز وجل- أخبر بذلك وأن رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبر بذلك لما تجرأنا، ولكن لما قال الله وقال رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تجرأنا، وإلا من الذي يتجراً في حق الرب العظيم والخالق الجليل فيصفه بخلاف بما لا دليل عليه.

فالباب جد خطير لا من جهة الإثبات ولا من جهة النفي، قاعدة أهل السنة مبارك: نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا نتجاوز القرآن الحديث.

أما من لم يكن شأنهم مع الصفات هذا؛ يعني ليس أمام ناظرهم هذين الأمرين: لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله من خلق الله من رسول صلى الله عليه وسلم، فإنه يوجد عندهم من الجرأة على الله والتقدم بين يديه ويدي رسوله عليه الصلاة والسلام.

والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) [الحجرات: ١٠]، ومعنى ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر، في باب العقائد لا تقولوا حتى يقول، وفي باب العبادات لا تفعلوا حتى يأمر، بمعنى لا يكن منك قول في باب العقائد لا دليل عليه، ولا يكون منك عبادة وعمل في باب الطاعات لا دليل عليه، ولا تقل حتى يقول ولا تفعل حتى يأمر.

ومن لم يكن أمام ناظره هذين الأمرين فإنه سيقع منه التقدم بين يدي الله ورسوله فيعرض وينتقد ويتردد ويتشكك ولا يثبت كما هو الشأن في علماء الكلام الباطل.

هذا دلالة العقل على ثبوت الصفات، إثبات الصفات.

ومن ينفون الصفات يدعون أن في كفتهم العقل، والواقع وحقيقة الأمر في هؤلاء أنه لا نقل ولا عقل؛ لأن العقل واضح الدلالة في إثبات الصفات.

أما الطريقة التي يفعلونها فهي خارجة عن دائرة النقل، وأيضا خارجة عن العقل، فهم لا للنقل اعتمدوا ولا كذلك على العقل استندوا.

[المتن]

والصفات السلبية: ما نفاه الله - سبحانه - عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب. فيجب نفياً عن الله - تعالى - لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل وذلك لأن ما نفاه الله - تعالى - عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا مجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً.

ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم، وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً كما في قول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

وقول الآخر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فنفي الموت عنه
يتضمن كمال حياته.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩) [الكهف: ٤٩] فنفي الظلم عنه يتضمن
كمال عدله.

مثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، فنفي
العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤) [فاطر: ٤٤]
لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته
لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.
وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

[الشرح]

ثم شرع الشيخ - رحمه الله - على النوع الثاني من أنواع الصفات، عرفنا أن الصفات ثبوتية
وسلبية، تكلم عن الصفات الثبوتية عرفها وذكر الأدلة عليها من السمع والعقل على وجوب إثباتها،
ثم شرع على الكلام على الصفات السلبية.

بدأ أولاً بالتعريف ما هي الصفات السلبية، قال: (ما نفاها الله - سبحانه - عن نفسه في كتابه أو
على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه الصفات السلبية، كل ما نفاها الله عن نفسه أو نفاها
عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو صفة سلبية يجب نفيها عن الله كما نفاها الله - سبحانه - وتعالى -
عن نفسه وكما نفاها عن رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وكلها صفات نقص في حقه) والله عز وجل كلها صفات كمال لا نقص فيها وهذه
صفات نقص، ولهذا نزه الله - سبحانه - وتعالى - نفسه عنها.

قال: (كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب). هذه أمثلة، والواجب في هذه
الصفات نفيها عن الله كما نفاها الله عن نفسه وكما نفاها عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ما
الدليل على أنه يجب نفيها عن الله كما نفاها الله - سبحانه - وتعالى - عن نفسه وكما نفاها عنه رسوله

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الدليل على ذلك السمع والعقل كما سبق، ولهذا قال الشيخ رحمه الله: **(فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق).**

ولهذا الأدلة التي ذكر الشيخ قبل قليل فيما تعلق في الصفات الثبوتية هي نفسها تأتي بها هنا وتستدل بها؛ لأنها كما دلت على وجوب الإثبات فهي أيضا دالة على وجوب النفي، الدليل السمعي السابق والدليل العقلي السابق فيما يتعلق بإثبات الصفات الثبوتية هو نفسه يستدل به على نفي الصفات المنفية.

ولهذا اختصارا قال الشيخ: **(لما سبق)** أي لما سبق لذكر للدليل السمعي والعقلي، قال: **(فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق).**

ثم ذكر أصلا مهما يتعلق بالصفات المنفية قال: **(مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل)** وهذه قاعدة مفيدة ومهمة في الصفات السلبية، الصفات والسلبية وصفات النفي ليس منها ما هو نفي صرف أو نفي خالص؛ بل كل صفة نفي جاءت في القرآن أو السنة فإنها متضمنة لإثبات كمال الضد لله جل وعلا، كمال ضد المنفي لله، ليس فيها ما هو نفي صرف، مرة ثانية كل صفة منفية في القرآن ليس النفي فيها صرفا؛ أي محضا خالصا، وإنما هو نفي متضمن لإثبات كمال ضد المنفي، أما النفي الصرف الخالص الذي لا يتضمن ثبوت كمال ضد هذا لا يوجد في صفات الله جل وعلا.

بل قاعدة الباب: كل نفي جاء فيما يتعلق بصفات الله عز وجل في القرآن والسنة فهو متضمن لإثبات كمال الضد، ولن تجد في القرآن أو السنة نفي صفة عن الله إلا وهي متضمنة لثبوت كمال ضد هذا المنفي لله سبحانه وتعالى.

نفي عن نفسه الظلم لكمال عدله.

نفي عن نفسه العجز لكمال قوته وقدرته وعلمه.

نفي عن نفسه النوم والسنة لكمال حياته..

وهكذا كل نفي جاء في الصفات فهو يتضمن إثبات كمال الضد.

قال: **(وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا مجرد**

نفيه) الآن الشيخ يعلل لماذا النفي يتضمن إثبات كمال الضد وأنه لم يأت فقط لجرد النفي؟ قال: **(لأن**

النفي ليس بكمال) مراده بقوله: **(لأن النفي ليس بكمال)** أي النفي المجرد أو النفي الخالص أو النفي

المحض، هذا ليس بكمال، متى يكون النفي كمالاً؟ النفي المجرد ليس بكمال، متى يكون النفي

كمالاً؟ الجواب أن النفي يكون كمالاً إذا كان متضمناً ثبوت ضد المنفي، أما إن كان نفياً محضاً خالصاً فإنه لا يعد كمالاً؛ لأن الكمال في الثبوت، فإذا كان النفي لا يتضمن معنىً ثبوتياً فإنه لا يعد كمالاً لأن الكمال في الثبوت.

ولهذا صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- المنفية في القرآن والسنة كلها تتضمن معنىً ثبوتياً ألا وهو إثبات كمال ضد المنفي لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وسيأتي بعض الأمثلة على ذلك عند الشيخ رحمه الله تعالى.

قال: **(لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال)** يزيد الأمر بيانا ووضحا فقال: **(وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً)**. هذا وجه: النفي الصرف ليس بكمال لأنه عدم، ولهذا لاحظ أهل السنة -رحمهم الله- قالوا في حق الجهمية الذين أثبتوا في حق الله النفي الصرف الذي لا يتضمن كمالاً، لا يتضمن إثبات كمال ضد المنفي: لا فوق ولا تحت، ولا عن يمين العالم ولا عن شماله، ولا داخله ولا خارجه، ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه، وليس بكذا وليس بكذا، تجدد في كتبهم أحيانا صفحات بهذه الطريقة نفي محض.

قال السلف عن أمثال هؤلاء: والمعطل يعبد عدماً. أي من طريقته في الصفات -في صفات الله- هذه الطريقة فحقيقة حاله أنه يعبد عدماً؛ لأن هذه الصفات التي ذكروها في حق الرب العظيم هي صفات العدم، ولو قيل لأحدنا صف العدم، هات صفة للعدم لن يجد أبلغ ولا أجمل ولا أحسن من هذا الذي وصف به الجهمية ربهم، لا يجد أبلغ منه، لو قيل لأحدنا ما العدم؟ لقال: العدم هو الذي ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين العالم ولا عن شماله ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصلاً عنه وليس بكذا، كان يقال له: لا فُضَّ فوقك، ما أجمل اختيارك لوصف العدم. هذه أبلغ صفة للعدم.

وهذا الذي أبلغ صفات العدم هو صفة العدم عند الجهمية والعياذ بالله.

ولهذا النفي الصرف ليس كمالاً لأنه عدم، وما كان عدماً فليس بشيء، وما ليس بشيء ليس بشيء، كما ذكر أهل العلم. هذا جانب.

قال: **(وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً. ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية الحل له، فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم)** النفي أحيانا يكون لعدم الحل؛ يعني لعدم قابلية الحل لهذه الصفة لا ثبوتاً ولا عدماً، ليس قابل أصلاً.

نمثّل الآن بـ: لو أن رجلاً أراد أن يبيع قلماً في السوق وقال: هذا القلم لا يظلم. يريد أن يمدح القلم بهذه الصفة، هل تقبل منه هذه الصفة كمسوغ لبيعه؟ لا؛ لأن القلم ليس لا للظلم ولا للعدل، جماد، فالحل غير قابل، إذن النفي أحياناً يكون لعدم القابلية لا يظلم أي أصلاً هو محله غير قابل لهذا لا نفياً ولا إثباتاً.

الآن لاحظ نفي لعدم القابلية، هناك أيضاً احتمال آخر للنفي ذكره الشيخ -رحمه الله- بقوله: (وقد يكون للعجز عن القيام به) مثل لو قيل في حق رجل ضعيف عاجز في غاية العجز وفي غاية الضعف لا يستطيع أن ينهض من مكانه: هذا الرجل لا يظلم أحداً. هنا لم يعد هذا مدحاً له أو في مدائحه لأنه عاجز، فالنفي هنا للعجز.

متى يكون كمالاً أو وصفاً ثبوتياً؟ إذا كان يتضمن إثبات الضد وهو العدل، ولهذا أورد الشيخ مثلاً على ذلك قول الشاعر:

قَبِيلَةٌ لَا يَغْدُرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

هذا شاعر يذم قبيلته ولا يمدحها، مع أنه لاحظ (لا يغدرون ولا يظلمون)، هذه صفات مدح أو صفات ذم؟ لا يغدر لا يظلم، صفة مدح لكنه هو ساقها هنا ذماً لهم لماذا أصبح قول الشاعر هنا (لا يغدرون ولا يظلمون) ليس ثناءً لأنه لا يتضمن إثبات ضد المنفي، وبه يعلم أن المدح يكون مع الإثبات إثبات ضد المنفي، أما إذا لم يكن متضمناً إثبات ضد المنفي ولهذا لا يكون مدحاً ولا يكون ثناءً ولهذا ذمهم بثنائه بقوله: (لا يغدرون ولا يظلمون)، هل أراد الشاعر بقوله: (ولا يظلمون) أنهم أهل عدل و(لا يغدرون) أنهم أهل وفاء؟ ما أراد ذلك، وإنما أراد أن يبين أن قبيلته في غاية العجز، قبيلة عاجزة ما تستطيع تدافع وما تستطيع تهاجم، فأراد أن يذمهم فقال: (لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل) أي أنهم في غاية العجز فلم يصبح هذا مدحاً وإنما هو ذم مع أنه في الحقيقة مدحاً مضمناً لثبوت ضد المنفي.

أيضاً المثال الآخر قوله

لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي حَسَبٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

(ليسوا) لاحظ النفي، (من الشر في شيء وإن هانا) أي لعجزهم (ليسوا من الشر في شيء) لعجزهم؛ أي لا شر منهم، لا شر منهم لو كان لقوتهم وقدرتهم على الشر مع انكفائهم عدّ مدحاً لكن لكونهم عاجزين فلم تعد مدحاً وإنما ساقها الشاعر مساق الذم لهم.

الشاهد أنّ الصفات المنفية لا تكون كمالات إلا مع إثبات ضد المنفي، ولهذا القاعدة فيما يتعلق بالصفات المنفية عن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كلها أن كل صفة نُفِيت عن الله فهي متضمنة لثبوت كمال ضدها له - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الظلم نفيه عن الله يتضمن ثبوت العدل. النوم والسنة نفيهما عن الله يدل على ثبوت كمال الحياة. العجز نفيه عن الله يدل على كمال ثبوت علمه وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا في كل صفة نفيت عن الله، فإنها متضمنة لثبوت كمال الضد له.

وذكر الشيخ على ذلك ثلاثة أمثلة من القرآن قال: (مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.)
(ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.)

(ومثال ثالث: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]) قال: (لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.)

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال. (يعني بعض الصفات تتضمن كمالات وبعض الصفات السلبية تتضمن أكثر من كمال، مثل ما سبق أن قلنا: بعض الأسماء تتضمن أكثر من صفة، وبعضها تتضمن صفة واحدة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.)

أريد أنبه عن أمر يتعلق بفقه هذه القاعدة، فيحسن بك وأنت تقرأ القرآن إذا مررت بالصفة المنفية - ما ينفيه تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عن نفسه من النقائص - يحسن بك أن تتفقه بمعرفة المعنى الشبوتي الذي تثبته الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - على وجه الكمال أخذا من إيش؟ من هذه الصفة المنفية.

ونحن عندنا أن كل صفة منفية يثبت لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كمال ضدها فيحسن بك وأنت تقرأ أن تتفقه وهذا نوع من الفقه في صفات الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أن تتفقه وتعرف ما صفة الكمال التي

نأخذها من هذا النفي، وكل صفة منفية تتضمن صفة كمال أو أكثر، ويحسن أن تستعين على
هذا بكتب التفسير كتب المحققين من أهل العلم، ترجع إليها حتى تساعدك على هذا الأمر. ^(١)



^(١) انتهى الشريط السابع.

الفهرس

٢	مقدمة تذكير بتقييم الصفات إلى ثلاثة أقسام).....
٢	القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.....
٣	شرح ذلك.....
٣	كل اسم متضمن لصفة.....
٤	من الصفات ما يتعلق بالأفعال والأفعال لا تنتهى لها.....
٤	أقوال الله عز وجل لا تنتهى لها.....
٥	الدليل على أن أقوال الله عز وجل لا تنتهى لها.....
٦	لمعرفة الصفات عدة طرق بينما لمعرفة الاسم طريق واحد.....
٦	أمثلة على الصفات.....
٨	القاعدة الثالثة: صفات الله - تعالى - تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:.....
٨	الصفات الثبوتية.....
٨	الإثبات والنفي كما ورد بدليل السمع.....
٨	الإثبات والنفي كما ورد بدليل العقل.....
٩	شرح ذلك.....
٩	صفات الله ثبوتية ومنفية.....
١٠	الصفات الثبوتية.....
١١	الصفات الثبوتية منها ذاتية ومنها فعلية.....
١٢	في آية النساء ثلاثة أوجه للدلالة على وجوب إثبات الصفات لله.....
١٤	فائدة تتعلق بآية سورة النساء.....
١٥	شرح الدليل العقلي.....
١٦	كيف نرد على من ينفي الصفات الثابتة لله.....
١٩	قاعدة مفيدة جدا لدارس الصفات.....
٢٠	الصفات المنفية.....
٢٠	النفي ليس بكمال حتى يتضمن ما هو كمال.....
٢٠	أنواع من النفي.....
٢١	شرح ذلك.....
٢٥	تنبيه يتعلق بفقه القاعدة.....
٢٧	الفهرس.....

